مبنية على قصة واقعية

لماذا يا أبت ؟!

كانت أول مرة ألقاه فيها . صحيح أننا كنا في نفس الكلية ولكن لم يسبق لنا أن التقينا قبلا . كنت لصيقة بصديقاتي فلا نكاد نفترق حتى نلتقي ، ولم يكن لي اختلاط بالشباب مطلقا. وحدث أن كنا في إحدى المحاضرات ، فلاحظت إحدى صديقاتي أن شابا يجلس خلفنا ، لا ينفك يَرقُبُني . ظننتها تبالغ في البداية ، بيد أنها أكدت لي أنه لم يرفع عينيه عني البتة . شعرت بقشعريرة تسري في جسدي ، فلم يسبق لي أن مررت بتجربة كتلك : شاب يحدق بي ... معجبا! وقررت أن أتجاهله .

مرت عدة أيام وهو على حاله من الإعجاب ، وأنا على حالي من التجاهل وعدم الاكتراث . بيد أن إعجابه اتخذ منحى آخر ، فبات من الواضح أنه يتحين أي فرصة ليحادثني . فما كان مني إلا أن وقفت بالمرصاد لكل الفرص السانحة وقتلتها في مهدها ، حتى ذهبت محاولاته ومناوراته أدراج الرياح ... أو كما تراءى لي حينها . فيأبى القدر إلا أن نلتقي ... أنا وهو .!

****

اضطررت ذلك اليوم أن أذهب إلى الكلية وحدي لتسليم مخطط أحد الأبحاث ، حيث لم يتيسر لي الذهاب قبلها ، وكان هذا آخر موعد للتسليم. وبينما أنا في طريقي خارج الكلية ،

خطر لي أن أتفقد محفظتي والمبلغ الذي فيها لرغبتي في شراء بعض الأغراض أثناء العودة . وإذ بها قد اختفت تماما من حقيبتي . أمضيت ساعة كاملة في جميع الأماكن التي ذهبت إليها أو حتى مررت عليها مرورا عابرا ذلك اليوم ، ولكن بلا جدوى . كان المبلغ الموجود في المحفظة كبيرا على ما أذكر ، كما أن بطاقاتي الشخصية كانت كلها فيها . خرجت من الكلية وقد اكتنفني شعور عميق بلا إحباط والهم . " كيف أرجع إلى المنزل الآن؟" السؤال الوحيد الذي بات يرن في أذني!

كنت أسير تائهة ، منكسة الرأس ، فانتزعني من كآبتي صوت ذكوري :

ــ هذه لك على ما أظن ، أليس كذلك؟

نظرت إلى اليد الممدودة اتجاهي في حيرة وترقب واللذين ما لبث أن حل محلهما شعور غامر باللهفة والسعادة:

ــ هذه محفظتي! (خطفتها من يده بمنتهى التلقائية ، تماما كالغريق الذي يمسك بمنقِذه لا يكاد يفلته) .

وما إن استوعبت الموقف ، حتى تلون وجهي ، وقطبت جبيني في تساؤل:

ــ كيف عرفت أنها لي ، لابد أنك فتحتها ، وعبثت بـ...

ــ (مقاطعا بأدب) أبدا ، لم أعبث بها . وإنما فتحتها لأعرف هوية صاحبها ، وأعيدها إليه . بيد أنني اكتفيت برؤية صورتك الشخصية فعرفتك على الفور .

"هذا طبيعي فأنت لا تكف عن التحديق بي" ، كان هذا هو الرد الذي خطر ببالي أول الأمر ، بيد أن لا الموقف والظروف سمحا بمثل هذا القول ، فاكتفيت بقول:

ــ شكرا جزيلا لك . والآن ، إذا سمحت لي فعلي أن أنصرف ، عن إذنك .

وكأنه قد خشي أن تضيع عليه الفرصة ، فقد كان هذا واضحا في عينيه . فبادر في سرعة:

ــ لحظة ، أنا زميل لك هنا في الكلية ، وكنت ....

ــ أعرف ذلك .

ـ (متجاهلا عبارتي) أود التحدث إليك من زمن ولكن لم يتيسر ذلك لأنك كنت دائما ملازمة لإحدى صديقاتك و...

أنا (مقاطعة) : فيم نتحدث ؟

هو: (مبتسما) بالمناسبة اسمي أمجد... أمجد شكري ! (قالها وكأنه يدلي بمعلومة مهمة في محاولة فاشلة منه لكسر الحاجز بيننا) .

ومرة ثانية وددت لو أجيبه : "وطبعا تتوقع مني أن أخبرك باسمي أنا الأخرى . ثم نبدأ سلسلة التعارف التي لا نهاية لها" ! ولكنني بكل بساطة تركته ومضيت . وأبى هو إلا أن يتبعنـــي ، فقررت الاستسلام أخيرا . ووقفت ووقف هو ، فسألته بحدة :

ــ ماذا الآن ؟

أجاب بتردد:

ــ أردت فحسب أن أسألك عما إذا كنت ... مرتبطة ؟

ــ (بحسم وحدة) لا ، لست مرتبطة .

ــ إذا ، هل تقبلين الزواج ... بي ؟

وعلى قدر ما بُغتُّ بالسؤال ، على قدر ما فاجأته بالإجابة :

ــ (بنفس درجة الحدة) لا ، لا أقبل .

علت الدهشة وجهه :

ــ لكن لماذا ؟

ــ هذا السؤال يجب أن يوجه إليك ، فأنت بالكاد تعرفني ، ومع ذلك تطلبني للزواج!

ــ بإمكاني أن أعرفك بنفسي إذا ما أعطيتني فرصة . وتعرفينني أنت بـ ... .

ــ (بإصرار) قلت لا .

ــ (في حيرة بائسة) ولم لا؟

ــ لأنني ببساطة لا أرغب بالزواج الآن . أريد أن أعمل و....

ــ يمكنك أن تعملي إذا أردت ، فأنا لا أمانع .

ـ (بلا مبالاة) حتى ولو !

ومضيت في طريقي تاركة إياه خلفي ! وحمدت الله أنه لم يتبعني تلك المرة .

****

كنت مقتنعة جدا بردة فعلي حينها ، وأخذت أردد "كيف يجرؤ؟!" عدة مرات . إلا أنه ، ما إن هدأ بالي وتفكرت في الموقف ، حتى عجبت لحالي ، وتضايقت من ردة فعلي . "ماذا كنت أريده أن يفعل بالضبط؟!" جال هذا السؤال بخَلَدي ، وصدمتني الإجابة . فالحقيقة أن هذا هو عين التصرف المتوقع من أي شاب محترم قد أعجب بفتاة . كانت بادرته في محلها الصحيح . ما الأمر إذا؟! ما الذي رابني في عرضه؟! إن أكثر ما لفت نظري فـي ذلك العرض هو المباشرة دون أي مواربة : "هل تقبلين الزواج بي؟" أخذت عبارته ترن في ذاكرتي . ما أكثر ما سمعت هذه العبارة : عشرات بل مئات المرات . ولكن الفرق هذه المرة ، أن السؤال كان موجها لي ... أنا ، ولأول مرة . لماذا لم أستمع إليه؟! لماذا لم أعطه فرصة؟! فرصة واحدة فحسب ؟ أحقا ، أنا لا أريده هو أم أنني ... أرهب الزواج .

وكأني بي وأنا أقف أمام مرآة نفسي . وبدأت المواجهة ، وتكشفت الحائق : نعم ، قد كنت أرهب الزواج بل وأنفر منه من صميم أعماقي . وكيف لا وأنا لم أشهد أو أسمع عن زواج ناجح على مدى سنوات عمري الواحدة والعشرين . زواج والديَّ كان فاشلا ، وأقاربي وكل من عرفتهم من معارفنا ، إلا ما رحم ربي ، وتظل قصص هؤلاء الناجحة شذوذا لا يصح البناء عليه في رأيي !

كنت محاطة بقصص فشل تعيسة ، وحالات طلاق لا تنتهي . حتى الأزواج الذي استمر زواجهم لسنين عديدة يصل بعضها للثلاثين أو الأربعين لم يكونوا أحسن حالا . وحال بين هؤلاء وبين الفراق إما الخوف من عار الطلاق من ناحية ، أو مراعاة للأطفال من ناحية أخرى . فأنَّى لي أن أحب أو أتزوج أو أن أحلم بأي منهما . إنهما بالنسبة لي بداية مأساة جديدة أخط سطورها بيدي ، وأختار أبطالها ، أو لنقل ضحاياها بنفسي! وما كنت لأفعل ذلك ، فالسعيد من وُعظ بغيره .

ثم ما لبثت إلا نظرت للجزء المقابل من المرآة ، فألفيت فتاة أخرى على نفس هيئتي وصورتي ، تنظر للأمر من زواية مختلفة . فهي ترى أن الزواج من خلال قراءاتها واطلاعاتها ليس أمرا معيبا في ذاته ، ولكن تطبيقه هو جوهر المشكلة . فالزواج في أصله سكن ومودة ورحمة ، وكونه تحول على يد البعض إلى حلبة قتال أو قاعة محكمة ، فالملامة ، كل الملامة عليهم . إنني ورهبتي من الزواج ، تماما كمن يخاف السباحة لا لأنه جربها مرة وأوشك على الغرق ، بل لكثرة ما شهد من الغارقين . لابد لي إذن أن أخوض التجربة وأحكم بنفسي ولنفسي ، ولو مرة!

****

ــ أنت مرة أخرى (وكأنني تناسيت الاتفاق الذي عقدته مع نفسي) ، ألم أقل لا وانتهى الأمر ؟ أم هو فقد ابتسم ، نعم كانت هذه ردة فعله ! أتصدقون ذلك ؟! رجل يُرفَض من قبل المرأة التي يرديها ويبتسم !

ــ تعالي نتحدث قليلا ، رجاء.

ــ وفيم نتحدث بالضبط .

ــ أرجوك ، أعطيني فرصة . فرصة واحدة فحسب!

رنت عبارته في أذني " فرصة واحدة فحسب" ، وتذكرت الوعد الذي قطعته على نفسي: وعد "الفرصة الواحدة" . فأردفت في هدوء :

ــ فليكن إذا .

ابتسامة أخرى عريضة ارتسمت على وجه . ما خطبه ذلك الشاب! وكأنه حاز على جائزة نوبل للقلوب المُحبة! ولأول مرة أرفع عيني تجاهه ، كانت لمحة خاطفة . بدا فيها واحدا من هؤلاء الناس الذي لا تعكس نبرة صوتهم ملامحهم . بل على العكس تماما ، قد تلمح فيها تناقضا ملحوظا محببا ، يحمل طابع المفاجأة في ثناياه!

شعرت لهنيهة أنني ندمت على ردة فعلي ، وآثرت التراجع ، لكنني لم أستطع أو لنقل أني لم أرد . انتابني حينها شعور بأنه الإنسان الذي يستحق هذه الفرصة الواحدة . وطمأنت نفسي بأنني لن أمنحه غيرها ، ليس رهبة منه ، ولكن خوفا من نفسي أنا . خشيت أن أكرر فشل من سبقوني . الفشل الذي شهدته بأم عيني ، أو كنت ضحية له أحيانا . لذا، عزمت أمري ، وقررت أن تكون هذه هي الفرصة الأولى والأخيرة!

****

وهكذا كان ما أراد ، فجلسنا وتكلمنا في كثير من المواضيع ، حتى أنني تحدثت معه عن أمور لم أفض بها حتى لأهلي وأقاربي . وربما تكون هذه إحدى مزايا التحدث إلى الغرباء ، فلا أنت ترجو قربهم ، فتغلف حديثك بالحرص ، ولا أنت تخشى بعدهم فتختار كلماتك بعناية . وإنما تجتاحك رغبة عجيبة في تسرد ما في خاطرك بكل أريحية . فأخبرته مثلا أنني أهوى الكتابة ، وأنني أعتبرها متعتي الوحيدة في هذه الحياة . كما أخبرته عن حلمي في أن أغدو كاتبة مرموقة للقصص القصيرة والموضوعات التي تتعلق بالحياة الزوجية والعلاقات الإنسانية . ولاقت هوايتي استحسانا كبيرا لديه ، كما شجعني كثيرا على المضي قدما كما لم يشجعني أحدا من قبل ممن أسررت لهم بهوايتي تلك . وأخبرني أنه كان يكتب حين كان في الثالثة عشرة ، ثم انشغل بعد ذلك في العمل مع والده في ورشته الصغيرة حيث كان هو الولد الوحيد . من جهتي ، أعجبت بأفقه الواسع ، واطلاعاته الكثيرة رغم ضيق وقته . وهكذا ، تحدثنا في كل شيء وعن كل شيء تقريبا .

ولأول مرة أحس بشعور غامر بالسعادة وأنا أتحدث مع أحدهم . شعور لم أستطع تفسيره . ففي نهاية المطاف ، كان هذا لقاءنا الأول ، وربما الأخير ! كم تمنيت لو أن الزمن يقف عند هذه الساعات التي تحادثنا فيها . ولكن كعادة الأوقات السعيدة في هذه الدنيا ، ما أسرع ما تمضي وما أسرع ما نشتاق إليها ! ومضت الساعات سريعة ونحن نتحدث ، حتى تجاوزنا وقت الغروب ، فاستأذنت منه قبل مغادرتي ، على أن نلتقي لاحقا . ورحلت وقلبي معه ! أواه

منك أيها الوقت ومن ساعاتك ، كم تفرض علينا الرحيل من أماكن نتوق إلى البقاء فيها ، وتلزمنا بالبقاء في أماكن نتمنى لو نرتحل عنها ! والتقينا بعد ذلك وتحادثنا كثيرا!

****

ــ سألتك سؤالا حين التقينا أول مرة ، ولكنك لم تجبني . حاولت معرفة الإجابة وحدي ، لكنني لم أستطع .

ــ وما هو يا أمل ؟

ــ لماذا أنا ؟ لماذا أنا بالذات يا أمجد؟ إنك حتى لم تكن تعرف أي شيء عني .

ــ على العكس تماما ، كنت أعرف الكثير .

ــ (مقطبة جبيني) حقا! قمت بالتحري عني إذا؟!

ــ (ضاحكا) وهل أبدو كمخبر ؟! (بجدية) قطعا لا ، ولكنني تعرفت إليك بنفسي . فأنت فتاة معتدة بنفسها وذكية ورقيقة ووفية .

ــ (وقد فغرت فاهي ، وازداد عجبي) كيف عرفت ذلك ، ولما تتحدث معي قبل ذلك اليوم ؟!

ــ الطريقة التي تمشين بها تعكس فتاة واثقة بنفسها ، فأنت تدرسين خطواتك وتمشين في تؤدة ، فعرفت أنك معتدة بنفسك . وكنت دائما ما أستمع إلى نقاشاتك مع زميلاتك ومع

الأساتذة ، فأدركت ذكاءك . أما عن وفائك ، فقد لزمت صحبة صديقاتك على مدارخمس سنوات كاملة ولم تفارقيهن .

ــ (في تردد وحياء) وكيف اهتديت إلى موضوع ... الرقة ذاك؟

ــ (يبتسم في مكر) لهذه الصفة قصة طويلة ، فلنؤجلها لوقت لاحق .

ــ (مبتسمة) لقد غيرت رأيي ، إنك لست مخبرا ، بل محلل نفسي !

ــ (يضحك) هكذا إذا!

وأشعلت حواراتنا و لقاءاتنا بادرة الموافقة من جانبي على الزواج أخيرا. وحانت لحظة الصفر .

****

ــ قلت أنه لا يصلح لك وانتهينا !

ــ لماذا يا أبي؟

ــ إنه ليس من مستوانا !

ــ صحيح أنه ليس ميسورا أو ذا مال ، ولكنه يعمل مع والده حاليا . كما أنه يملك مشروعه الخاص ، والذي يدر عليه ربحا . بالإضافة أنه يحسن أعمالا كثيرة ومستعد كذلك أن ...

ـــ إنه لا يملك شهادة جامعية ولا وظيفة مرموقة . أنا أرفض زواجك من هذا الشاب جملة وتفصيلا .

ـــ (في توسل وقد تجاهلت تعليقه) قابله ولو مرة واحدة على الأقل . أرجوك يا أبي .

لم أكن أتوقع أن يوافق أبي بهذه السرعة ودون أي نقاش ، فلم يكن من عادته أبدا أن يحرص على سعادتنا أو رضائنا أنا أو إخوتي . ففوجئت به يقول في هدوء :

ـــ حسنا ، مقابلة واحدة فحسب . (ثم أردف) لا أظن أنها ستغير من رأيي شيئا ولكن ...

ـــ (لم أرد الدخول في تفاصيل كثيرة فسارعت) شكرا لك يا أبي .

سعدت لموافقة أبي ، بيد أني لم أطمئن لها قط . فأبي لم يكن أبدا صاحب النوايا الحسنة والأهداف النبيلة . واعتراني شعور بالتوجس والريبة من استجابة أبي بهذه الصورة . ثم آثرت ألا أستسلم له . صحيح أن أبي لم يكن لئيما أو مخادعا . ولكنه كان قاسي القلب وشديدا... شديد السطوة ... شديد الأنفة ... شديد الكبر . كان لا يعجبه أحد ، ولا يعجب بأحد ، ويحتقر كل الناس وكل الآراء . لم يعرف أحد السبب وراء ذلك ، حتى أمي كانت تجهله . على أي حال ، لم يستوقفني طبع أبي كثيرا ، فقد علمتني الحياة أن هكذا هو طبع بعض الناس . وأن علينا أن نتعايش معهم إما لأنهم فُرضوا علينا ، أو لأننا سنحاسب على التعامل معهم ، أو لأنه لا مفر من الاعتراف بوجودهم في حياتنا ككِيان على الأقل وإن لم يكن لهذا الكِيان أي تأثير أو أثر .

****

ـ قلت لك أن رؤيتي له لن تغير من الأمر شيء .

ـ (وكأنني أحاول استيعاب الموقف) أرفضته؟!

ـ (بنبرة حازمة) لم أقتنع به كما سبق وأخبرتك . ولا تسألي عن تفاصيل ، فلا نية عندي لأضيع وقت في أحاديث تافهة . هيا انصرفي الآن .

كدت أنفجر غيظا وأموت كمدا ... فانسحبت على الفور . وهكذا باتت عادتي مؤخرا مع أبي ... الانسحاب الفوري . قد نلت كفايتي من معارضة أبي على مر السنين ، ولم أصل لشيء . كنت شجاعة ومتكلمة وشديدة الاعتداد بنفسي . ربما لهذا السبب غدوت أكثر من يمقتهم أبي . فقد كان يكره من يعارضه في الرأي ، وإن لم يظهر هذا الشخص اعتراضه علانية ، فكان أبي يشتم رائحة الاعتراضات شما . ولم يحصل أن ناقشنا في موضوع البتة ، كما لم يأخذ رأينا في أمر قط وإن كان يمسنا مباشرة . كل ما كان يصدر من أبي هو الأوامر المباشرة بالأمر أو النهي وكأننا في ثكنة عسكرية . ومن يأبى تنفيذ الأوامر ، يكون جزاءه ... في الواقع لا أدري ، فلم يسبق أن خالف الأوامر أحد منا ... حتى أنا . كنت أعارضه على الدوام ، بل وحرصت أن أظهر ذلك في كثير من الأحيان ليعلم أني مختلفة وأنني لست فردا من "القطيع" الذي يسوقه . بيد أن أوامره كانت تنفذ في نهاية المطاف . أما عن كراهيته لي ، فحدث ولا حرج ، بل لنقل أنني اكتسبت عداوة مضاعفة تماما كالخارجين على القانون . فكنتُ عدوة أبي اللدودة وغدا

هو كذلك بالنسبة لي ... فهو أبي الذي أنفذ أوامره راغمة ، وعدوي الذي أتمنى الخلاص من جبروته!

أخبرتني أمي ذات مرة أن السبب وراء تسميتي بـ "أمل" ، هو أن أبي كان "يأمل" أن أكون أفضل من أخوتي الذي سبقوني أو سيأتون من بعدي . فأبي لم يحب أحدا منا قط ، وكنا دائما مصدر "إحباط " بالنسبة له ، كما لم ينفك يعيد هذه الكلمة على مسامعنا بين الحين والآخر . بيد أنني بدل أن أكون "الأمل" المنتظر غدوت "شعلة" الأمل التي احترقت من ذل الأوامر وسطوة الظلم .

ولما رغبت في معرفة ما جرى بينه وبين أمجد ، ذهبت إلى أمي . وكان أبي قد سبقني إليها وأخذ عليها العهود والمواثيق بألا تخبرني بأي شيء! وأبيت أنا إلا معرفة الحقيقة ، فقررت لقاء أمجد .

****

ــ (ينظر إلى قائمة من الأسماء) لنر ... أمجد شكري... أمجد شكري . آه ، أخيرا . حسنا ، أرى هنا أنه قد طلب نقله إلى كلية أخرى ، وتم الموافقة على الطلب .

ــ ماذا؟! سينقل . ولم؟ (حاولت أن أستعيد رباطة جأشي ، وعرفت أن هذا ليس سؤالا يجيب عليه مسؤول في شؤون الطلبة) . عفوا ، أقصد ، متى قدم الطلب؟

ــ الأحد الماضي.

ـــ يا إلهي!

ـــ هل هناك مشكلة يا آنسة؟

ـــ لا أبدا ، شكرا جزيلا لك .

مشيت لعدة ساعات في أنحاء ومدرجات الكلية على غير هدى عساي أجده هو ... أمجد . قد طلب النقل في نفس اليوم الذي حادثه فيه أبي . لاشك عندي الآن في أنه هدده! وأسفاه ، ماذا أفعل الآن؟! اختفى أمجد تماما كأنه لم يكن ، حتى الكلية التي طلب أن ينقل إليها تقع في مدينة أخرى . إنه لم يعطني فرصة أن أعرف ما جرى بينهما ، أن أشرح له ، وأسمع منه .

****

ـــ أرجوك يا أمي أخبريني ما جرى بينه وبين أبي ؟

ـــ لقد أقسم علي والدك ألا أخبرك ، وأنت تعرفينه حين يصر على أمر .

ـــ (وقد بلغ بي اليأس مبلغه ، وأخذت أجهش بالبكاء) أرجوك يا أمي ، أتوسل إليك ... لقد طلب أمجد النقل إلى كلية أخرى اليوم ، واختفى من كليتي ولن يعود . لن أراه مرة أخرآ يا أمي . أتوسل إليك أن تخبريني بما جرى .

قالت وقد استدر موقفي عطفها :

ــ حسنا سأخبرك وأمري إلى الله . لقد هاجم أبوك الفتى هجوما لاذعا يا أمل ، وحذره من لقائك أو التحدث إليك مرة أخرى . وأخبره أنه من طبقة اجتماعية متدنية لا "ترتقي" لمستوى أسرتنا . و أنه لايزال طالبا ، ومثله لا يجب أن يأمل في أكثر من كتاب يدرس فيه ، ولقمة عيش تغنيه! وعرفت يا ابنتي أن الشاب وعده بأنه سيبذل قصارى جهده ليسعدك ، ويؤمن لك حياة كريمة . فأجابه والدك بأنه لا يرضى لابنته أقل من حياة "رغدة" كما اختار أن يسميها . وحطم أبوك الشاب تماما حين قال له أنه مهما فعل ، فإنه لن يقبل به زوجا لك ، حيث إنه لا يراه مناسبا على أي الأحوال . "لاتزال غضا" كانت العبارة التي استخدمها لينهي بها الحوار أو لينهيه بمعنى أدق . هذا هو كل ما حصل يا ابنتي!

ــ ولكن لماذا يا أمي؟! لماذا عامله بجفاء وقسوة؟! ولماذا كل هذا التكبر والتعنت؟! أنسي أبي حين كنا أطفالا؟! وقتها ، كنا نعيش عيشة الكفاف حتى منَّ الله علينا وانتقلنا لسكن أرحب ، وعلا مركز أبي وزاد راتبه . فلم نولد وفي أفواهنا ملاعق من ذهب . ثم إننا الآن ، نُعَدُّ في مستوى اجتماعي متوسط أو ربما فوق المتوسط بقليل ، فلسنا فاحشي الثراء أو حتى ميسورين . كيف يقبل أبي أن يتزوجك يا أمي في ظروف أقل من ظروف ذلك الشاب المتقدم لي بكثير ، ولا يقبل لي هذا الأمر ، وأنا به راضية !

ــ (في استسلامها المعتاد) ما باليد حيلة يا أمل . (مربتة على كتفي) فوضي الأمر لله يا ابنتي ، فلن يخيبك الله أبدا .

****

مضت على تلك الحادثة عشر سنوات ، وماتزال ذكراها حية في قلبي ، وإن ماتت تفاصيلها بمرور الزمن في ذاكرة من حولي وعلى رأسهم أبي . لازلت أذكره ، وأنَّى لي أن أنساه ، ولم أقبل بأحد قبله أو بعده . أنَّى لي أن أنساه وقد ملك عليَّ نفسي واستعمر فؤادي ؟! أنَّى لي أن أنسى من تحادثت معه في شتى أمور الحياة ؟! أنَّى لي أن أنسى من تبعني وألح عليّ حتى بعد أن قلت له : لا؟!

كنت في العشرين من عمري وقت التقيته أول مرة ... في ربيع العمر ، وأنا الآن في منتصفه . عشر سنوات مضت ولم أفتأ أذكره . لم أفقد الأمل يوما في أن ألقاه مرة أخرى . ليس لأن اسمي أمل ولكن لأن عندي أمل . تدرون ... حين التقينا أول مرة راودني هاجس عجيب ، يخبرني أنه هو ... هو ذاك الشخص الذي يصلح لي وأصلح له . يخبرني أنه الإنسان المناسب في الوقت غير المناسب . فهل يا ترى يكتب لنا القدر أن نلتقي مرة أخرى ولكن في الوقت المناسب ؟!

وهل يا ترى سأعرفه حين أراه؟! إنني لا أكاد أذكر شيئا من ملامحه . فطوال الساعات التي قضيناها معا ، لم أنظر إليه إلا لماما ، لدرجة أعجز بها عن وصفه الآن! لماذا لم أنظر إليه ؟ لا أدري ! ربما لشدة حيائي حينها . فاكتفيت بالاستماع ، واختلاس النظرات إليه بين الفينة والأخرى . وكأني أنظر إلى الشمس أخشى من حرارتها وأفتقد ضوئها . غير أنني مع ذلك على يقين أننا إذا التقينا الآن بعد مرور كل تلك السنوات ، فإنني حتما سأتعرف عليه ولو بالتسديد والمقاربة!

أواه منك أيتها الدنيا! يا من تفرِّقين الأحباب وتجمعين الأعداء ! وتجعلين الآباء يتحكمون في حياة بناتهن فقط لأن اسمهم آباء ! ترى هل مارسوا الأبوة ؟ هل فهموها أو تمثلوها ؟! ربما فعل بعضهم ، لكن أبي لم يكن منهم ، لم يكن من هؤلاء ، فلماذا يا أبت؟! لماذا؟!